(٥)

السيدة زينب بنت خزيمة - رضى الله عنها

السعد وعد، كما يقول المثل، وفضل الله نفحة من نفحاته الكريمة يؤتيه الله لمن يشاء من عباده لسر هو - وحده - به عليم، وممن شمله الله بفضله السيدة زينب بنت خزيمة الهلالية من بنى هلال، أقصر أمهات المؤمنين مقاماً فى بيت النبوة وعلى رغم صغر سنها (ماتت وعمرها ثلاثون سنة)، لم يكن زواج النبى منها لمطلب جسدى فانٍ كما يروج مكسيم رودنسون ومشايعوه، بل كان السبب فى التزوج منها هو المواساة والرحمة والحماية وحسن الرعاية.

فقد كان زوجها عبد الله بن جحش ابن عمة رسول الله ﷺ، وأخو زينب بنت جحش التى تزوجها رسول الله فيما بعد بأمر من الله لحكمة سنذكرها عند الحديث عنها، مات عبد الله بن جحش شهيداً فى غزوة أحد، فسارع ذو القلب الرحيم والوفاء الكريم فخطبها لنفسه لتكون واحدة من أمهات المؤمنين الطاهرات العفيفات، فالمواساة التى عرفناها سبباً فى تزوجه من قبل كانت سبباً هنا كذلك.

يضاف إلى هذا سبب آخر فى السيدة زينب ذاتها، سبب منشؤه الإيمان الخالص بالله، والتصديق بوعده الكريم لعباده المحسنين.

فقد عرفت هذه السيدة الجليلة بحبها للفقراء والمساكين والعطف عليهم وبرهم والإنفاق عليهم فى السر والعلن حتى لقبوها بـ(أم المساكين).

وهذه المحامد لها عند أولياء الله كبير وزن وعظيم تقدير فمن حقها - إذاً - أن يزدان بها البيت النبوى، وأن تُكرَّم هى بالانتساب إليه، وتكون لبنة فى صرحه الشامخ ولا سبيل إلى ذلك، إلا أن تكون زوجاً لأبى المؤمنين محمد ﷺ.

حظيت السيدة زينب بنت خزيمة بالانتماء إلى البيت النبوى العامر بذخائر الإيمان.

ولكن مقامها فيه لم يطل فماتت بعد شهرين أو ثلاثة أشهر على الأكثر، ولكن السعد وعد كما تقدم، وقصر المدة التى قضتها حية أماً للمؤمنين جدير بأن يسقط حسبانها من سجل تعدد الزوجات فى سيرته ﷺ، ولكن الباحثين عن بقع سوداء فى قرص الشمس، وهم المبشرون والمستشرقون ومشايعوهم يصرون على أنها كانت مظهراً من مظاهر المتعة، والشهوة التى يدعون أن النبى ﷺ كان مغرماً بها، واقفاً حياته عليها.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾ [الكهف: ٥]، والسيدة زينب (أم المؤمنين وأم المساكين)، هى الثانية التى توفيت فى حياة النبى - عليه السلام - بعد السيدة خديجة - رضى الله عنها.

وأسباب التزوج منها تخلو - كما رأيت - من اعتبار الشهوة والمتعة، وبهذا يظهر لك تهافت خصوم الإسلام حين يتحدثون عن حقائق الإسلام.

* * *